مجلة العلوم الإنسانية —— المجلد 32 -عدد 2 -جوان 2021، ص.ص.259 -274

تأصيل معرفي للأدب النبوئي

A cognitive rooting of Predictive literature

تاريخ الاستلام : 2020/10/19 ؛ تاريخ القبول : 2021/06/01

ملخص

إنَّ الكاتب أو المبدع إنسان في المقام الأول، غير أنَّه أشد حساسية؛ يتأثر بوقائع الأحداث والحياة، يعيشها ويتألَّم من أحداثها وتصبغه وقائعها التي قد يمرُ عليها الكثيرين مرورا سريعا، وإبداعه ليس أبداً ضربا من الخيال المنفرط، أو طريقا لإبحار في رحلة من الغيبيات والعبث الفكريين، بل هما رحلة استشراف، يعكسها في طابع فني يزاوج بين الخيال والواقع، معتمداً على معطيات اللغة وتقنيات القصة والرواية وموسيقى الكلمات، ليكشف عن مواطن الخلل، تفاديا للخطأ ووضع الحلول للمشكلات الطارئة.

.

الكلمات المفتاحية: أدب نبوئي؛ تنبؤ؛ متنبِّئ؛ نبوَّة؛ نبوئي.

* شهرزاد بهناس

قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات. جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر.

Abstract

The writer or creator is primarily a human being, but is more sensitive. It is affected by the facts of events and life, lives it and suffers from its events and pigmented by its facts that many may pass through quickly, and her creativity is never a form of excessive imagination, or a way to sail on a journey of unseen and intellectual absurdity, rather they are a visionary journey, which he reflects in an artistic character that marries imagination And reality, depending on the data of language, techniques of story, novel and music of words, to reveal the defects, to avoid error and to develop solutions to urgent problems.

Keywords: predictive literature; prediction; predictor; prophecy; oracular.

Résumé

L'écrivain ou le créateur est avant tout un être humain, mais il est plus sensible. il est affectée par les faits des événements et de la vie, la vit et souffre de ses événements et pigmentée par ses faits que beaucoup peuvent traverser rapidement, et son créativité n'est jamais une forme d'imagination excessive, ou une façon de naviguer dans un voyage invisible. et absurdité intellectuelle, ils sont plutôt un voyage visionnaire, qu'il reflète dans un caractère artistique qui marie imagination et réalité, en fonction des données du langage, des techniques de l'histoire, du roman et de la musique des mots, pour révéler les défauts, afin d'éviter l'erreur et de développer des solutions aux problèmes urgents.

Mots clés littérature prédictive ; prédiction ; prédicteur; prophétie; oraculaire.

* Corresponding author, e-mail: sh.behnas@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2021.

إلى يومنا لم يحدث إجماع على تعريف لكلمة (أدب)، كلمة رافقت مسيرة البشريَّة منذ الأزل، وكانت نافذة نُطل منها على عصور غابرة، فنعيشها بكل تفاصيلها التي أبدعها أدباؤها حسّيا ومعنويا.

وهي اليوم تُواصل حضورها في واقعنا؛ تارة تعكس أحواله، وتارة تحاول أن تشقَّ طريقا إلى فهمه وإدراكه، وتارة تُعرِض عنه لِتَخْلُق عالما مختلفا ينفتح على كل الاحتمالات ويشرّع دنياه مدَّ الحلم والخيالات..

فلم يعرف (الأدب) القرار كما لم يعرفه الإنسان، ولم يقنع إلاَّ بحقيقة واحدة هي أن الثبات وهم في حياة لم يرتض لها خالقها إلاَّ التقلُّب والتبدُّل طلبا للأصلح والأجدر والأفضل.

بحث دائب يضج بنتائج متواترة ومتغيّرة؛ متكاملة حينا، ومتداخلة حينا آخرا، وقد تكون متناقضة حينا ثالثا. وتستمر المحاولات بين عثرة ومضاء إلى ما لا وصول، لأن الوصول قطعا يعني النهاية، ولا نهاية إلاَّ الموت!

وله أن يتخِّذ من الأشكال الفنية ويطوِّع من الأجناس الأدبية ما هو كفيل بتحقيق الغايات وإدراك المقاصد، كما فعل مستشرفوا الأدب النبوئي، بتمهيدهم الطريق لتغيير الواقع، من خلال طرح سيناريوهات بديلة تبناها التنفيذيون وصنعوا بها المستقبل..

وقد انشغل الناس منذ القدم بالتفكير بما يخبئه لهم الغد، لذلك كان استشراف المستقبل هاجسا يُراد له جواب، فكان في العصر الجاهلي طائفة تزعم أنها تطَّلع على الغيب، وتعرف ما يأتي به الغد بما يلقى إليها توابعها من الجن، وكان واحدها يسمّى كاهنا كما يسمى تابعه الذي يوحي إليه باسم «الرَّئِيّ»، وتسمي لغتهم (سجع الكهَّان).

وكانوا يَكْثُرون في اليمن وفي بيوت عبادتها الوثنية، فكانت لهم قداسة دينيّة، ويُلجأ إليهم، ويُتخذون حكَّاما في الخصومات والمنافرات، ويُستشارون ويُصدر عن آرائهم في كثير من الشؤون؛ كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة أو قعود عن نصرة أحلاف أو نهوض لحرب... ومن ثمَّ كان العرب يقصدون كثيرين منهم من مناطق بعيدة.

وفي ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشمال، وتلقانا في كتب التأريخ والأدب أسماء الكثيرين، منهم: ورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة الأيادي، وشقّ بن أنمار بن نزار، وأكثم بن صيفي، وأميّة بن أبي الصلت، وسطيح (واسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن الغسَّاني وكان مقره بلاد الشام)، ومسلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب الحنفي، وعرَّاف اليمامة رباح بن عجلة، وعرَّاف نجد الأبلق الأسدي، وزيد بن عمرو بن نفيل، والمأمور الحارثي، والكاهن الخزاعي، وعلاف بن شهاب التميمي، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وسويد

بن عامر المصطلقي، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنيس، وعامر بن الضرب العدواني، والمتلمِّس بن أمية الكناني، وخالد بن سنان العبسي والأسود بن كعب العنسي...

وتُعد الشعثاء، وكاهنة ذي الخَلَصة، والكاهنة السعدية، والزرقاء بنت زهير، والغيطلة القرشية، وكاهنة سهم، والكاهنة سجاح التميمية، وزبراء كاهنة بني رئام أشهر الكاهنات في العصر الجاهلي،[1] وأنذرت (زبراء) قومها بالغارة عليهم فقالت: "واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق."[2]

وقد يبالغ القصَّاص فيرسمون لبعضهم صورا خيالية، فمن ذلك أن (شقَّ ابن الصعب) كان شق إنسان أو شطره؛ فله عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، وأن (سطيح) لم يكن فيه عظم سوى جمجمته وأن وجهه كان في صدره ولم يكن له عنق وربما كان أحدب!

ونرى أهمية الوقوف على بعض المصطلحات التي ارتبطت بالكهنة، والتي كان الخلط واضحا بينها في أذهان العرب، رغم معرفتهم الفطرية بمعنى كل من هذه الكلمات، وذلك إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على احتواء (الكاهن) في الجاهلية على كل هذه المعاني:

العرَّاف: المنجِّم الذي يدَّعي علم الغيب، ومن هنا فالكهانة والعرافة يدل كلاهما على المعرفة.

الحكيم: العالم بالأمور والمتقن؛ ومن هنا سمِّي أحد الكهنة بمحكِّم اليمامة، وقد يكون شاعرا أو قائدا أو شيخ قبيلة.

المتنبِّئ: من يدَّعي النبوة.

وتجدر الإشارة أن موضوع النبُّوة له أهميـةٌ كبرى، لا فى الفكر الصوفي فحسب، وإنما فى الفكر الإسلامي والإنساني عموما؛ ولذلك يصح القول أن النبوَّة ظاهرة عامة كلية، أي أنها غير مخصوصة بشعب دون آخر، وهي ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره منذ أقدم العصور، فلا يوجد شعب لم يعرف بشكل أو بآخر وحي الآلهة، حتى أن البعض لم يكتف بالربط بين النبوَّة والدين والوجود، وإنما جعل النبوة نزوعا طبيعيا في الإنسان، واستعدادا قائما في العقل، وملكة في النفس الإنسانية تمكِّنها من الحدس أو سبق النظر بالمستقبل.[3]

ولعله من أقرب المصطلحات إلى الكهانة؛ فكان يقال للكاهن، تكهَّن وعرَّف وحكَّم وتنبَّأ، ومنها جاء الخلط بين الكاهن والعرَّاف والحكيم والمتنبِّئ.

وإذا صحَّت أطروحة انحدار الشعر العربي من سجع الكهَّان، فإن اعتماده الوزن والبحر والقافية يثبت من جديد علاقته بالسحر، وهنا نلامس معتقدا كونيا في الأصل الخفي للموسيقى؛ فكلمة «charme» الفرنسية مثلا، التي تعني (سحر)، تنحدر من الأصل اللاتيني «carmen» الذي يعني (سجع)، وكلمة «incantation» وهي التعزيمة أو الدعوة السحرية، مشتقة من الجذر «cantare» الذي يعني أنشد أو غنَّى.[4]

وفي حديث عن (ابن عباس)، أن الشيطان لما طُرد من الجنة وأُنزل إلى الأرض، سأل الله تبارك وتعالى أن يجعل له قرآنا فأعطاه الشعر:

«لما نزل إبليس إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني وجعلتني رجيما (...) فاجعل لي قرآنا، قال: الشعر وسجع الكهَّان."[5]

كَهَّان: جمع كاهن، من كَهَنَ له يَكْهَنُ ويكهُنُ وكَهُنَ كَهانةً وتكَهَّنَ تكَهُّناً وتكهيناً: قضى له بالغيب؛ بمعنى تخمين أحداث المستقبل قبل وقوعها. ورجل كاهِنٌ من قوم كَهَنةٍ، وحرفته الكِهانة: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدَّعي معرفة الأسرار.[6]

أمَّا سَجْع الكهَّان، فجاء مصطلحا مركبا تركيبا إضافيا؛ المضاف مفردا نكرة، المضاف إليه جمعا معرفة، وكأن السجع واحد عند مجموع الكهان.

والسجع: من سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المُقَفَّى، والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، وصاحبه سجَّاعةٌ. وهو من الاسْتِواءِ والاستقامةِ والاشتباهِ كأَن كل كلمة تشبه صاحبتها؛ قال ابن جني: سمي سَجْعاً لاشتباه أَواخِره وتناسب فَواصِلِه وكسَّرَه على سُجُوع، فلا أَدري أَرواه أَم ارتجله، وحكِي أَيضاً سَجَع الكلامَ فهو مسجوعٌ، وسَجَع بالشيء نطق به على هذه الهيئة. والأُسْجُوعةُ: ما سُجِعَ به. ويقال: بينهم أُسْجُوعةٌ.[7]

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية لكلمة (شعر) نجدها تعني الفطنة، لكنها تعني أيضا القافية، من الجذر (قفا) الذي يُطلق كذلك للدلالة للضرب على القفا وعلى تتبُّع الأثر. والقيافة ضرب من التنبُّؤ بالغيب تمكِّن صاحبها من التعرُّف إلى الشيء انطلاقا من مشاهدة أثره،[8] ما يشير إلى وجود قربى بين الشعر والكهانة والعرافة.

وألوان السجع كثيرة، ومنها (السجع الديني)، كما في وصف (ربيعة بن ربيعة) ليوم النشور:

"يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون."

ويقسم بصدق قوله:

"والشفق والغسق، والفلق إذا اتَّسق، إن ما أنبئك به لحق."[9]

ويصف (شق بن صعب) ذات اليوم بقوله:

"يوم تجزى فيه الولايات، يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع

فيه الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات." ويقسم لسائله بأنه يقول الحق:

"ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، أنَّ ما أنبئك به لحق، ما فيه أمض."[10]

ويتكهن أحد الكهنة ويدعى (شافع بن كليب الصدفي) بظهور النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيقول:

"قَدِم على تُبَّع الآخر ملك اليمن قبل خروجه للقتال شافع بن كليب الصدفي، وكان كاهنا، فقال له تُبَّع: هل تجد لقوم مُلكا يزيد عليه؟ قال: أجده لبار مبرور، ورائد بالقهور، ووصف في الزبور، فضلت أمته في السُّفُور، يفرِّج الظلم بالنور، أحمد النبيّ، فإذا هو يجد صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم."[11]

وقد اختلط الأمر على بعض قريش في أول نزول الذكر الحكيم، فقرنوه بسجع كهنتهم، وردَّ عليهم القرآن الكريم

بمثل قوله عز وجل-:

﴿إنه لقول رسول كريم (40) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (41) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكَّرون (42).﴾[12]

ولعل من أبرز سمات الكهانة، الإيماء إلى ما يريدون ودخول الرمز في كثير من أقوالهم؛ فيأتي الكاهن المعنى من بعيد موظِّفا ألفاظا غامضة، يأخذ الناس فى تأويلها كلٌ بما يرى حسب فهمه وظروفه، وهكذا يضمن خلود أقواله.

وهذه امرأة من سهم يقال إن صاحبها جاءها ذات ليلة فأنقبض تحتها وقال:

"شعوب شعوب، تصرع فيه كعب لجوب."[13]

ويقولون إن قريشا لم تستطع فك رموز هذا السجع حتى كانت وقعة أحد بالشعب.

وممَّا يلاحظ أيضا على سجع الكهان، كثرة الأقسام والإيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير، لاعتقادهم في هذه الأشياء قوى وأرواحا خفيَّة، ومنها قول (سلمى بن أبي حية):

"والأرض والسماء، والعقاب والعنقاء، واقعة ببقعاء، لقد نفَّر المجد بني العُشراء للمجد والسناء."[14]

وادَّعى (مسلمة بن حبيب) النبوَّة، وكان يشار إليه بلقب (مسيلمة الكذَّاب) من قِبل المسلمين تحقيرا له، وشنُّوا عليه حرب إبادة، فقتلوه وأبادوا أصحابه في ما يسمى بحديقة الموت، ومن أقواله:

"والشمس وضحاها في ضوئها وجلاها، والليل إذا عداها يطلبها يغشاها فأدركها حتى أتاها وأطفأ نورها ومحاها."[15]

ويعيدنا سجع (مسيلمة) بوضوح إلى هذه الآيات القرآنية الكريمة-: **﴿والشَّمس وضحاها (1) والقمر إذا تلاها (2) والنَّهار إذا جلاَّها (3) واللَّيل إذا يغشاها(4)﴾**[16]

ولكن النصوص التي وصلتنا من سجع الكهَّان تعتبر قليلة نسبيا قياسا إلى عدد الكهَّان الذين ذكَرَتْهم كتب التاريخ والأدب، والذين يزيد عددهم على خمسين كاهنا. ويعود ذلك على الأرجح لأسباب كثيرة، منها:

1- ضياع معظم هذه النصوص واندثارها بموت أصحابها، سيما أنها لم تدوَّن وإنما تناقلها الناس شفهيا.

2- محاربة الإسلام لكهنة الجاهلية، إلاَّ من انطوى تحت لواء الإسلام، كما اتفقت المذاهب الفقهية الأربعة على تحريم إنشاد الشعر في المسجد إذا خالف الشرع.[17]

3- عدم إقبال الناس عليها، لأنها تخالف الكثير من المعتقدات الدينية.

4- أن تلك النصوص تحمل لعنات حسب اعتقاد الناس آنذاك.

5- وبالمقابل فإن نظرة الناس إلى الكهَّان على أنهم طبقة متميّزة، جعلتهم يتعاملون معهم باحترام وخوف بالغين.

فيما بلغ السمو الروحي عند طائفة من المسلمين أن هجرت الدنيا وزخرفها، وعكفت على العبادة، متطلِّعة في يدَي الخالق عازفة عما في أيدي الخلائق، وتعارفَ الناس على تسمية هذه الطائفة بالمتصوّفة.

وقد كان التصوف منتشرا بين اليهود، وبسمى بالتنبؤ، ويسمى الواصل من السالكين عندهم نبيا.

والتصوف تجربة ذوقية كشفية تنكشف فيها الحجب عن العابد، وفي كل هذا تصدر عنه إشارات وعبادات تنبئ عن أحواله ومقاماته.

ولم يُبق الزمان من كتب (الحلاج)، الذي سبق إعدامه عشية الخامس والعشرين مارس سنة (309ه/922م) بعد اتهامه بالزندقة، إلاَّ كتاب (الطواسين)، وكان بمثابة سيرة ذاتية وفكرية، تميَّزت بخصوصية الدلالات التعبيرية للمصطلح الصوفي، التي

تختلف بين حال ومقام وبين مقام وآخر، ويبقى أن تلمُّس نظرية للوجود في ثنايا أقوال (الحلاج) المتناثرة وأشعاره الرمزية وطواسينه الغامضة ليس بالأمر اليسير، وإن تحقَّق ذلك فلن يكون إلاَّ بعد مجازفة مضنية في التأويل؛ حيث طريق الكشف والإلهام والذوق هو الطريق الصحيح لا طريق الاسترشاد بالعقل والبرهان:

مَنْ رَامَهُ بِالعَقْلِ مُسْتَرْشِدًا أَسْرَحَهُ فِي حَيْرَةٍ يَلْهُو[18]

والمرء في هذا الطريق مرهون بالإشراقات الإلهية التي تنير له ما خفي عنه، إلاَّ أن ارتهانه ليس سلبيا بالمطلق، إذ لا بدَّ من تهيئة النفس عبر ترويض البدن بالصلاة والصيام وغير ذلك من مجاهدات، فمن طلب الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب.

والإيمان هنا ليس العقل بالتأكيد، أو ليس العقل البرهاني على الأقل، بل هو العقل (البياني)؛ فثمَّة حجاب آخر أمام العرفان غير حجاب العقل، هو حجاب الشريعة عبر تحنيط نصوصها.

وقد عاش الشيخ الأكبر (محي الدين ابن العربي) في الحقبة الأندلسية، بين فئة تراه قطب الأولياء وأخرى تراه شيخ الملحدين. وانطوت سيرته على تنبؤات خفية عبر أسلوب خطابي مراوغ وجدل صوفي، يأخذ القارئ خارج العمل نفسه إلى حيث الحياة والكون وواقعه غير المدرك، دافعا الإنسان للنظر إلى الأمور نظرة كالدوسكوبية ترى الأمور في حالة تغير دائم لا تخضع للثبات.

وتضمَّنت رسالته الظاهرية والباطنية سواء في (الفتوحات المكية) أو في (فصوص الحكم) دعوة للتأمل في (الذات) وفي (الآخر)، باعتبار (الآخر) مكمِّلا وضروريا لفهم الذات والاستمرارية الحضارية على هذا الكوكب، وقد يكون هذا الآخر هو الله -سبحانه وتعالى- كما تنص عليه ظاهر الأديان، أو الكون بأشمله بما فيه الذات وفكرة الألوهية.

وكان يعترف بأنه يتبع دين الحب، وأنه سيبحث عنه عند اليهود أو النصارى أو المسلمين، فلا يوجد دين أرقى من آخر.

فيما قامت عقيدته على وحدة الوجود:

"العالم صورة الله، والله روح العالم المدبّر له، فهو الإنسان الأكبر."[19]

وعلى الرغم من أن (ابن عربي) لم يُعدم في حياته كما أُعدم فيلسوف بغداد (الحلاج)، لكن تمَّ إعدام إنتاجه الفكري بعد موته، وعلى فترات متعددة من تاريخ الأمة الإسلامية، وكأن ظاهرة (الحلاج) التي استؤصلت قد عادت لتظهر بعد حوالي ثلاثة

قرون لتطرح نفس القضايا الملِّحة التي يتعرَّض لها المفكرون والفلاسفة المسلمون وغير المسلمون.

ويطرح الشاعر والمفكر الصوفي (محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفَّري)، في مخطوطته الشهيرة والوحيدة (المواقف والمخاطبات)، حيث إنه لم يدوِّن ما كان يقول واكتفى بإلقائه شفهيا لمريديه، سؤالا مزدوجا على العالم: كيف أعرف العالم؟ وكيف أكتبه؟

كان كل شيء يؤكِّد أن ثديه الأول في رضاع الكتابة ينحدر من سلالة الكشف، وأن ثديه الآخر ينحدر من سلالة اللانهاية؛ كان يكتب بحثا عن الحقيقة، والحقيقة مقيمةٌ في كل مكان، وهي في داخل الإنسان أولا، وهي إذا توأم الكتابة. وهنا تكمن مخاطرة الكتابة عند (النفّري)، كجزء من الطريق إلى المعرفة، وجزء من المعرفة نفسها؛ فهي من جهة خرق للسائد المعرفي، وهي من جهة ثانية افتتاح لمسالك جديدة نحو عرفان جديد. غير أن معرفة لا جهل فيها لا معرفة فيها، ومعنى ذلك أن المعرفة لا تنتهي أو لا تكتمل، وأن الحقيقة بحث متواصل واكتشاف دائم؛ نستشرفها، نستشفها، نستضيء بها، غير أننا لا نقبض عليها بشكل نهائي ومطلق، كأنما تقترب فيما تبتعد، وتبتعد فيما تقترب. فهي ليست ثمرة جاهزة للقطاف، بل فضاء مفتوح نسافر فيه؛ نتساءل، نتخيل، نستقصي، نكتشف. وكأننا نعوِّض عن فقر الواقع بغنى المخيلة.

عاش (النفَّري) في القرن الرابع الهجري، ولم يكن يعلم أنه وبعد قرون من وفاته، ستكون إحدى مكاشفاته في كتابه نموذجا عاليا ومَدخلا من مداخل من يتقوَّل بالحداثة في الأدب وبخاصة الحداثة الشعرية، وأن عبارة (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة) قد دفعت البعض إلى مجاراة منهجه في الماورائيات والحياة.[20]

لكنَّه يبقى كغيره من أهل التصوف، الذين عاصروا محنة (الحلاج)، والتي دعتهم إلى التحفُّظ والكتمان والتقية الشديدة.

ولمَّا كان العقل المجرَّد قاصرا عن النفاذ إلى جوهر الدين وإدراكه، جاء اضطراب الشاعر والفيلسوف العباسي (أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان القضاعي التنوخي المعري)، في مسألة النبوات والبعث بعد الموت. ونجد له في المكتبة العربية عدد ملحوظ من المؤلفات والتصنيفات، ومنها كتابه (الفصول والغايات)، الذي اختلف المؤرِّخون في تسميته، فمنهم من قال (الفصول والغايات في معارضة السور والآيات)، باعتباره العنوان الأقرب إلى روح (أبي العلاء) الناقم وروح الكِتاب من جهة أخرى. ومنهم من قال (الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ)، مزيلين عنه بذلك غبار التهمة.

واعترف أكثر النقَّاد بشاعريته وإنسانيته، ووضعوه في المحل الأرفع، وجعلوا له مقاما فريدا بين شعراء العربية؛ لا من حيث أسلوبه وفنه فحسب، ولكن من حيث روحه ونظرته وتأمُّله في الحياة والأحياء من حوله، وعدُّه المستشرقون شاعرا عالميا سبق زمانه بآرائه العقلية والأخلاقية والسياسية والدينية.

أمَّا الأشعار والمؤلَّفات الصوفية لـ (محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي)، المتوفى سنة 1273م،[21] والمعروف باسم (مولانا جلال الدين الرومي)، فقد تركت تأثيرا واسعا في العالم الإسلامي، وترجمت بعض أعماله في العصر الحديث من الفارسية إلى كثير من لغات العالم، ولقيت صدًى واسعا جدا.

وتُعتبر قصائد (المثنوي) أو (مثنويه المعاني)، من أهم كتب التصوف الشعرية، بلغت عدد أبياتها (25632) بيتا، موزَّعة بين أجزائه الستَّة.

ويُسميها بعض المتصوِّفة بالكتاب المقدَّس الفارسي. قال فيها (جلال الدين الرومي) بوحدة الوجود، ووحدة الشعوب والأديان، وشغف الشعر، وعمق الحب المدفون في كل فرد، وضمَّت (424) قصة تشرح معاناة الإنسان للوصول إلى حبه الأكمل الذي هو الله:

"فما دام الخالق قد قال يد الله فوق أيديهم، فقد أعلن أن أيدينا هي يداه."[22]

وفي شريعتنا الإسلامية دعوة صريحة إلى استشراف الغد والإعداد للمستقبل؛ تضيئها السنة النبوية الشريفة وتؤصِّلها نصوص القرآن الكريم؛ ولنقرأ قوله تبارك وتعالى في سورة الحشر-: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (18) ﴾ وتبشِّرنا سورة التوبة بأن المستقبل للإسلام، فيقول تعالى: ﴿ **هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِّينِ الحَقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ** (33) ﴾

ونتذكَّر كيف عالج سيدنا يوسف - عليه السلام - باستشراف مستقبلي مدروس، الفقر الذي كان سيحل بأهل مصر، وذلك حين استبصر أنَّها ستواجه أزمة اقتصادية طاحنة، فأنبأ صاحبه أن مصر ستمر بسبع سنين من الخصب والنماء والاكتفاء الذاتي في المحاصيل والمزروعات، ثم تواجه بعدها سبع سنين من القحط والجفاف، ثم قدَّم الحل الذي ذكره تبارك وتعالى في سورة يوسف: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَا تَأْكُلُونَ** (47)ث ُمَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ

مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَا تَحْصُنُونَ (48) ثُمَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ (49)﴾

كما تنبَّأت الأحاديث النبوية بدورها إلى أن المستقبل سيكون لهذا الدين وبه، فنقرأ لابن حبان في صحيحه (1632/1631)، هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، -: ((**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ.**))

وتوضِّح أحاديث أخرى مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، ومنها هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (171/8): ((**إِنَ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَ أُمَتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا.**))

ولنعرِّج الآن عند عالم الماورائيات الفرنسي (ميشيل دي نوستردام Michel de Nostredame) 1503م/1566م)، الذي عُرف أكثر بالشكل اللاتيني لاسمه (نوستراداموس- Nostradamus).

تَذكر الروايات أن موهبة (نوستراداموس) التنبؤية بدأت تظهر بوضوح عام 1512م، وكان (نوستراداموس) حينها يناهز التاسعة من عمره، حين خرَّ على ركبتيه أمام شاب إيطالي كان يرعى الخنازير فى الطريق، خالعا عليه لقب قداستك! وفعلا صار هذا الشاب قداسة البابا (سيكستوس الخامس).[23]

وذهب البعض إلى الاعتقاد بأنَّه نبي، حيث إنه انتهى قبل وفاته من كتابة تسعمائة واثنتين وأربعين (942) نبوءة (Prophecie)، جمعها فى كتاب اسمه (القرون)، ونشره لأول مرة عام 1555م. قام بكتابة أحداثه على شكل رباعيات غير مفهومة، كعادة الكتب التي تحتوي إشارات غيبية وإعجازات عددية وتلوُّنات لفظية مثيرة.

وكلمة (قرن) هنا لا تعني مائة سنة بل مائة نبوءة، اعتقد أنها سوف تحدث في زمانه وإلى نهاية العالم الذي توقع أن يكون في عام 3797م، وكان بعضها يتعلق بأحداث شديدة الأهمية فى التاريخ، نحو مثال (هتلر):

وَحَوشٌ، أَصَابَهَا الجُوعُ بِالسَّعَارِ، تَعْبُرُ الَنهْرَ ..
ضِدَ (هِسْتَرْ)، يَكُونُ أَغْلَبَ أَرْضِ المعْرَكَةِ ..
يُسْحَبُ هُوَ القَائِدُ فِى قَفَصٍ مِنْ حَدِيدٍ ..
عِنَّدَمَا لَا يُرَاعِي ابْنُ (أَلْمَانْيَا) أَيَّ قَانُونٍ..[24]

وليست هذه أول مرة يبدِّل فيها (نوستراداموس) أماكن الحروف فى (القرون) عموما، بل يبدو أنها سر من أسرار المهنة؛ فرمز مثلا إلى الغرب بفرنسا وإلى العالم المسيحي بـإيطاليا ولأمريكا بـإسبانيا.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر الأكاديمية تنفي أن يكون لنوستراداموس قدرة تنبؤية حقيقية بأحداث مستقبلية مقدَّما، وترى أنها إلى حد كبير نتيجة لسوء فهم أو إساءة الترجمة المتعمَّد أحيانا.

ورَبطت الكثير من الدراسات النقدية عند حديثها عن ظاهرة الرؤى الاستشرافية، بين قدرات التأمُّل والحدس لدى الأديب، وقدرته على استشراف المستقبل والتنبؤ ببعض الرؤى قبل حدوثها، انطلاقا من تصوير الكائن لرؤية الممكن و التبشير به..

لكن ماذا لو تحقق للأديب الارتقاء بقدراته التأملية إلى نوع من التنجيم؛ فيتنبأ بحوادث محدَّدة بدقة متناهية وليس بمجرد حوادث عامة؟

ولأنَّ الأديب فنان قبل كل شيء؛ رهانه القبض على قيم الحق الخير والجمال وليس التنجيم، فقد حيَّر هذا الأمر النقَّاد وهم يواجهون الروائي الأمريكي (مورغان روبارتسون Morgan Robertson)، (1861م - 1915م)، في واحدة من أشهر أعماله الروائية (غرق التيطان the Wreck of the titan, or or, Futility)[25]

التي نشرها سنة 1898م، وتتنبأ فيها بغرق سفينة (التيطانيك) قبل أن يقع ذلك فعلا بأربعة عشر سنة كاملة!

لكن أمر هذا الروائي غريب، وهو من الغرابة بحيث إنَّه يتجاوز حدود نبوءته بوقوع الحوادث الكبرى لغرق سفينة ركاب ضخمة في عرض مياه شمال الأطلسي، إلى تصوير تفاصيل وجزئيات دقيقة ما يزال الدارسين يحاولون إيجاد تفسير مقنع لها، حيث تجاوز خيال هذا الكاتب كل حدود الإبداع والاستشراف؛ ومن ذلك مثلا وصفه لخصائص تلك السفينة؛ فيبلغ طول (التيطان) مائتان وأربعة عشر (214) مترا، ولها ثلاث (03) مروحيات، و تقدَّر حمولتها بخمس وأربعين ألف (45000) طن، ويمكنها نقل ثلاثة ألف 3000 راكب، أما سرعتها فتصل إلى خمس وعشرين (25) عقدة.

وهذه تقريبا نفس خصائص سفينة (التيطانيك)، التي يبلغ طولها مائتان وتسع وستون (269) مترا، ولها ثلاث (03) مروحيات، وتزن حمولتها ست وأربعين ألف (46000) طن، وبقدرة نقل تصل إلى ألفان ومائتي ألف (2200) مسافر، وتتراوح سرعتها ما بين اثنتين وعشرين (22) إلى أربع وعشرين (24) عقدة.

وما يدعو إلى الغرابة أكثر أنه قد تصوَّر اصطدام سفينة (التيطان) المفاجئ شهر أفريل، بجبل جليدي عائم، وهلاك حوالي ألف (1000) من ركابها بسبب قلَّة مراكب النجدة، وهو ما حدث تماما لسفينة (التيطانيك).

بل إن إسم السفينتين وحده بإمكانه أن يثير مزيدا من الاستغراب والحيرة، علما أنه لم يكن في واقع الحال الذي كتبت فيه الرواية، لا سفينة تدعى (تيطان) ولا أخرى تسمى (تيطانيك)، إنما (التيطان) سفينة من إبداع خيال (مورغان روبارتسون) عام 1898م، و(التيطانيك) سفينة حقيقية تمَّ بناؤها ووضعها في الخدمة بعد ظهور رواية (غرق التيطان) بعدة سنوات، وهي السفينة التي غرقت كما هو معروف في الرابع عشر من شهر أفريل العام 1912م.

ويرى الكثيرون أنَّ استشراف المستقبل أصبح مطلبا ضروريا لتحقيق التواءم في كل الأصعدة، مثل مستقبل الصناعة والإنتاج أو الجهود العلمية المتعلِّقة بحياة الإنسان وتكوينه البنيويّ... وأنَّ الغاية منه ليس التكهُّن بما سيحدث، بل إبراز مختلف التصوُّرات المحتملة أو الممكنة للمستقبل الذي نرجوه ونتمنَّاه؛ حيث تطفو على سطح الرؤى أحلام الحريَّة وآلام الحيرة والقلق ورغبات الثورة والتمرُّد والرغبة في تصوير بعض الجوانب الاجتماعية المتردِّية وفضح الظلم وإدانة الاستعمار والنقد السياسي... فما يصدر عن الكتَّاب أو المفكرين ليست أحكام أخيرة قاطعة، وإنَّما محض احتمالات أمكن الاستدلال عليها من القراءة العقلانية المتأنِّية لسير الحوادث ومتابعة الأوضاع والظروف العامَّة المحيطة بالمجتمع العالمي، وانعكاس هذه الأوضاع والظروف على الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية المختلفة...

وفي عالمنا اليوم الذي يضج بقضايا وأحداث متسارعة ومتطوّرة؛ قد تكون محمودة أو مذمومة أو بينهما، وما صار ينتشر في عصرنا من جدل بين الدينيين وبعضهم من ناحية، وبين اللادينيين من ناحية أخرى، حول ما صار يطلق عليه ظاهرة الإعجاز العلمي والغيبي، أصبحت حاجتنا إلى اجتهاد منظَّم يستشرف مجموعة من التنبؤات المشروطة، وفق منهج علمي وأسس رصينة، تصوغ افتراضات من شأنها

التنبيه إلى المشكلات المحتملة والمساعدة في تجنُّبها واقتناص الفرص المتاحة أمراً أساسي؛ لتفادي النقص وإصلاح الخلل وتطوير المتوقف عنده في القضايا مستقبلا.

الهوامش:

1- بن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م، ج 2، ص 220 وما بعدها.
وينظر: عبد الملك، أبو محمد بن هشام. السيرة النبوية. ترجمة: عادل أحمد عبد الوجود، تحقيق: علي محمد
معوض. الرياض: مكتبة العبيكان، 2011م، ج 1، ص 200 وما بعدها.

2- الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. تاريخ الرّسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1967م، ط 2، ج 2، ص 270 وما بعدها.

3- مبروك، علي. النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، بيروت: دار التنوير، 1993م، ص 56.

4- Edmond Doutte, Magie et religion dans l'Afrique du nord, Alger, 1908. Maisonneuve Geuthner, Paris, 1984, p 105.

5- الغزالي، أبو حامد. مكاشفة القلوب المقرّب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق: محمد رشيد القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987، ص 26.
وينظر: القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م، ص 388.
وينظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد. قصص الأنبياء المسمّى (عرائس المجالس)، بيروت: دار الكتب العلمية، ترجمة، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، 2017م، ص 55.

6- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرُّوَيفعي الإفريقي. لسان العرب، مادة كهن، ج 7، بيروت: دار صادر، 2003م.

7- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرُّوَيفعي الإفريقي، لسان العرب، ج 7، مادة سجع.

8- القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص 344 - 345.

9- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 261.

10- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 264.

11- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 268.

12- سورة الحاقة، من الآية: 40 - إلى الآية: 42.

13- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 253.

14- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 257.

15- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 270 وما بعدها.

16- سورة الشمس، (من الآية: 1 - إلى الآية: 4).

17- الجزيري، عبد الرحمن. الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص ص
289 - 290.

18- الحلاج، أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي. ديوان الحلاج (ويليه كتاب
الطواسين). تحقيق: كامل مصطفى الشيبي وبولص نويا البسوعي، بيروت: منشورات الجمل،
ط3، 2007م، ص 48.

19- الشيخ بن العربي، محيي الدين ، فصوص الحكم، تحقيق وشرح: أبو العلا عفيفي، بيروت: دار الكتاب العربي، د ت، ص 111.

20- النفري ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/10/6م.
https://ar.wikipedia.org

21- جلال الدين الرومي ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 12/18/ 2015م.
https://ar.wikipedia

22- الرومي، جلال الدين. المثنوي. ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002م. ص2.

23- نوستراداموس ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/2/15.
https://ar.wikipedia.org

24- تنبؤات ميشيل نوستراداموس. القاهرة: مكتبة مدبولي، د ت، ص 87.

25- Morgan Robertson, The wreck of the Titan or Futility. The Quinn & Boden Co. Press Rahway, N.J. 1898.

قائمة المصادر المراجع:

1- المصادر:

القرآن الكريم.

2- المراجع:

أ- المراجع العربية:

1- أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، قصص الأنبياء المسمّى (عرائس المجالس)، بيروت: دار الكتب العلمية، ترجمة، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، 2017م.
2- أبو حامد الغزالي، مكاشفة القلوب المقرّب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق: محمد رشيد القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987.
3- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطّبريّ، تاريخ الرّسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1967م.
4- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، الرياض: دار عالم الكتب.
5- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرُّوَيفعي الإفريقي، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 2003م.
6- أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي الحلاج، ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين. تحقيق: كامل مصطفى الشيبي وبولص نويا البسوعي، بيروت: منشورات الجمل، ط3، 2007م.
7- أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م.
8- أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية. ترجمة: عادل أحمد عبد الوجود، تحقيق: علي محمد معوض. الرياض: مكتبة العبيكان، 2011م.
9- الشيخ محيي الدين بن العربي، فصوص الحكم، تحقيق وشرح: أبو العلا عفيفي، بيروت: دار الكتاب العربي، د ت.
10-جلال الدين الرومي، المثنوي. ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002م.
11-علي مبروك، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، بيروت: دار التنوير، 1993م.
12-عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
13-تنبؤات ميشيل نوسترادامو‌س. القاهرة: مكتبة مدبولي، د ت.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Edmond Doutte, Magie et religion dans l'Afrique du nord, Alger, 1908. Maisonneuve Geuthner, Paris, 1984, p 105.

2- Morgan Robertson, The wreck of the Titan or Futility. The Quinn & Boden Co. Press Rahway, N.J. 1898.

ج- المواقع الإلكترونية:

1- النفري ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/10/6م.
https://ar.wikipedia.org

2- جلال الدين الرومي ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 12/18/ 2015م.
https://ar.wikipedia

3- نوستراداموس ـــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/2/15.
https://ar.wikipedia.org